

موسوعة القصص القرآني

أصحاب الجنة



إعداد

منير عرفه

(.... فَأَقْصِ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)

سورة الأعراف آية 176

(1)

هكذا ..

نام الرجلُ الكبيرُ الصالح
وأصبح يعاني سكرات الموت ،
ذلك الرجل الطيب ...

الذي لطالما كان يفتح بيوتا كثيرة ..
ولا يدري به أحد من الناس غيرُ الله سبحانه .
فقد كان رجلا ثريا ،

أنعم الله عليه

ببستان كبير ،

حديقة مثمرة ،

وجنة تتدلى من أشجارها أفضلُ أنواعِ الثمار ..

من أعنابٍ ونخيلٍ وزروعٍ كثيرة .

لا .. إنها ليست حديقة فقط

ولا بستانا فحسب !

إنها

جنة .

بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانٍ وخيرات .

وقابل الرجلُ الصالحُ هذا الخير العميم والنعم الكثيرة ،
بنفس مؤمنة ..

وبفيضٍ من الشكرِ والثناءِ على الله
فكان نعمَ المال الصالح للرجل الصالح .

وكان إذا حان وقتُ حصاد الزروع ، يرسل إلى الفقراء والمساكين ليشاركوه
في حصاده .

بل إن الفقراء والمساكين عرفوا طريق هذا الرجل الصالح ..
فكانوا يذهبون إليه في أوقات جمع الثمار لِيُعْطِيَهُمْ من رزقِ الله.
فيأخذون ما يأخذون ، ثم ينصرفون وألسنتهم تلهتُ بدعواتٍ كثيرةٍ نابغة
من داخل قلوبهم ونفوسهم .

ولم يكن الرجل الصالح يرجعُ إلى بيته بشيء من الثمار حتى يعطى الفقراء
والمساكين حقوقهم .

وجمع الله تعالى لهذا الرجل بجوار نعمة المال نعمة الأولاد ،
فكان له مجموعةٌ من البنين ..

وكانوا يرون أباهم يفعل ما يفعل ..

وبينما كان الأبُ يعاني سكراتِ الموت خاف على أبنائه أن يغيروا ،
ويمنعوا حقوق الفقراء
فببدل الله حالهم ..

خاصة أن بعض أبنائه قد طلبوا منه - قبل ذلك - أن يمتنع عن إعطاء
الفقراء والمساكين.

فأوصاهم - وهو في سكرات الموت - أن يحافظوا على طاعة الله ،
وأوصاهم ألا يمنعوا المساكين حقوقهم ، بل أوصاهم بالمحافظة عليها ..
فأجابه جميعُ الأولاد بالسمع والطاعة .

فهل يَصْدُقُونَ في وعدهم لأبيهم الصالح !!
هذا ما ستسفر عنه الأيام والفعال .

(2)

مات الرجل الصالح

وأقبل على ربِّ كريمٍ ،

بعد هذه الرحلة الطيبة .

تَزُفُهُ دعوات صالحة من أهل الأرض ..

وتستقبله الملائكةُ الكرامُ الطيبون .

وبقى الأبناءُ

ورثوا ثروةً أبيهم ..

وورثوا الجنةَ العظيمة .

ورثوها مليئةً بالفاكهةِ والثمار ،

فالأعنابُ قد تدلت ،

والنخلُ يريد أن ييكي من كثرة ما يحمله من الثمار .
وقالوا فيما بينهم : هذه هي المرة الأولى التي نجني فيها ثمار هذه الجنة ..
قال أحدهم : إن أبانا كان يعطى أموالنا وثمره تعبنا لهؤلاء العالة ،
إلى الفقراء والمساكين !
قال الثاني : لكم كلمتُ أبي في ذلك ، ولا فائدة !
قال الثالث : وأنا أيضا كلمته ، ولم يستجب لي .
قال الرابع : لا بأس . فقد صارت الثمار ثمارنا ، ولسوف نجني هذه الثمار
بدون أن يشعر بنا أحد .
ضحك الجميع بضحكاتٍ ساخرة .
قال أصغرهم وكان أعدلهم وأفضله : أتقصدون أننا لن نعطي حق الفقراء
والمساكين ،
كما كان يفعل أبونا رحمه الله !!
قالوا : سوف نمنعهم تماما من المجئ إلى حديقتنا .
قال لهم : لقد أوصانا أبونا أن نعطيهم .
قالوا : إن هؤلاء المساكين يأخذون أموالنا بدون وجه حق .
قال : إن المال نعمة من الله ، وهذه الثمار أخرجها الله لنا ، فينبغي أن
نقابل هذه النعمة بالشكر والثناء على الله ،
بإعطاء الفقراء نصيبهم .

قالوا : لن نخرج لهم أى شئ ..
وإذا كنت تريد أن تجربنا على ذلك ،
فأنت أصغرنا ونستطيع أن نحرّمك منها مثلهم .
وتجاهلوا صوته تماما ،
كأنه غير موجود .
وأخذوا يخططون ..

(3)

ذهب أصحاب الجنة إلى جنتهم بعد العصر ،
فوجدوا الثمار على أحسن حال وأطيب ثمر .
ولم يعد هناك إلا جمع الثمار وقطعها .
وأخذوا يدبرون كيف يجمعون هذه الثمار دون أن يشعر بهم المساكين
والعالة .
وأقسموا أن يجنوا ثمار الجنة بدون أن يشعر بهم أحد .
ولم يضعوا فى أذهانهم أى بدائل ولا أى احتمالات أخرى لأن يحدث أدنى
خطأ .
حتى إنهم لم يقولوا إن شاء الله .
وإذا كان من عادة الفلاحين أن يجمعوا الثمار بعد طلوع الشمس
لكن أصحاب الجنة ،

وخلافا لعادة الفلاحين ،
وضعوا خططهم بإحكام ،
حيث اتفقوا على جنى الثمار قبيل الصباح
فإذا ما استيقظ الناس في الصباح ،
وطلعت الشمس وانتشر الناس ..
وجدوا الجنة قد تم جمعها ،
و ذلك لكي لا يعلم المساكين بالأمر فيحضرون طلبا للمعونة ،
وأخذوا يُقسِمُونَ جميعا على ذلك ،
بل أخذوا الأيمان والمواثيق بصفة خاصة على أخيهم الذى كان مخالفا لمثل
هذه العملية .
وتعاهدوا على ذلك حتى لا يفشى أحدٌ منهم سرهم .
وأرادوا أمرا ..
وأراد ربك أمرا آخر ..

حيث حدث ما لم يكن فى الحسابان !

(4)

كان الجزء من جنس العمل ،
فكما مكروا وخططوا فى منع المساكين من الثمار ،
وبينما كانوا نائمين لا يشعرون بشئ ،

حيث ناموا أول الليل طمعا في القيام مبكرين .
وخلافا لظنهم

فإن الله الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ،
ما كان ليغفل عن تدبير خلقه و إجراء سننه في الحياة ،
فقد أرسل الله على جنتهم طائفاً من عنده جعلها ،
تبدو وكأنها قد تم جنى ثمارها قبل ذلك ،
وليعيدوها الى حالها لو كانوا يستطيعون !
وهل يقف مكر الإنسان الضعيف أمام تدبير الله وقدرته !!؟
كلا .. كلا

فقد حُسمت القضية وانتهى الأمر .
وقد أرادوا خداع المساكين وتضليلهم ،
فما خدعوا إلا أنفسهم
وهم في غفلتهم نائمون لا يدرون ما حدث .
و إذا استطاعوا أن يخفوا مكرهم عن المساكين ،
فهل استطاعوا أن يخفوه عن عالم الغيب و الشهادة ؟
كلا .. كلا

لقد أرادوا أن يَمْنَعُوا فَمَنْعُوا ، وأرادوا أن يَخْدَعُوا فَخُدِعُوا .
فهذه من تلك .

(5)

و لأن من طبيعة الإنسان انه يكون سريع الانتباه من الرقاد عند انتظار أمر هام ، فإنهم كانوا أيقاظا قبيل الصبح .

[فتنادوا مصبحين]

نادى بعضهم بعضا ، و أجمعوا بالفعل على ضرورة التبكير في الذهاب إلى الجنة و جمعها ،

و استحث بعضهم بعضا لجنى الثمار ،

وكانوا ينادون على بعضهم البعض بأصوات متخافتة ، حتى لا يسمع بهم أحد .

حتى في طريقهم إلى الجنة كانوا يتكلمون بصوت خفيض خافت ،

حتى لا يشعر بهم أحد من الناس فيفتضحوا .

وانطلقوا وهم في حذر بالغ ،

و كانوا في أثناء انطلاقهم يسرون الحديث و التآمر .

و عملوا المستحيل من أجل ذلك

بل كان همهم الشاغل الذي تخافتوا به طيلة الطريق إلى جنتهم ،

و هو إخفاء الأمر على المحتاجين حتى لا يسألوهم شيئا مما يجمعون .

وحتى لا يدخل عليهم مسكين في هذا اليوم ،

وفي هذا اليوم بالذات .

(6)

وصل أصحاب الجنة إلى جنتهم ..

فما عرفوها ،

و أنكروها ..

وفركوا أعينهم جيداً ليتأكدوا

فوجدوا الجنة غير الجنة التي رأوها قبل ذلك ..

بل وجدوها قد استحالت على تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار ،

إلى أن صارت سوداء مدلهمة،

لا يُنتفع بشيء منها ،

فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا الطريق ..

قالوا إنا لضالون ،

وأخذوا يبحثون عن جنتهم مرة أخرى ،

و لكن كيف يضل الإنسان عن أرضه؟!؟

كلا .. إنها أرضهم بعينها ،

فتأكدوا أنها هي جنتهم .

وأخذوا يتعجبون ما الذى حدث ؟

وما الذى فعل ذلك بجنتهم؟!؟

إنهم ضالون عن الحقيقة و ليسوا ضالين عن جنتهم ،

وإنما حرمهم الله بمشيئته و حكمته .
فقالوا : بل نحن محرومون ، بسبب ذنوبنا .
و هناك علاقة بين ضلال الإنسان و حرمانه ،
و بلوغ الإنسان إلى تطلعاته و أهدافه ، متصل بالمنهج الذي يتبعه
في الحياة ،
فحينما يخطيء اختيار المنهج أو يضل عن المنهج الصحيح ،
فإنه بصورة طبيعية مباشرة ،
سيُحرم ليس من أهدافه المعنوية فقط ،
بل حتى المادية منها ،
فإن العبد يُحرم الرزق بالذنب يصيبه
ودار بينهم حوار طويل ..
قال أخوهم الذى نصحهم قبل ذلك :
ألم أقل لكم لولا تسبحون الله ،
بشكر نعمته وبتأدية الزكاة للفقراء !؟
فطأطأوا رءوسهم ، ثم نظروا إلى أخيهم الذى كان متحمسًا لعدم أداء حق
الفقراء ،
وقالوا له : أنت الذى شجعتنا على ذلك ،
فأشاح لهم بيده : وأنتم أطعموني .

قال الأخ الناصح لهم : ليس المهم الآن من بدأ ومن أطاق .
قالوا : ما المهم إذن ؟

قال لهم : المهم أن نتوب إلى الله ونستغفره عن ذنوبنا الكبير .
ثم أتبع حديثه ..

لقد كان أبونا رجلا صالحا ، ولذا فقد بارك الله له في الجنة ،
أما نحن ...

فقد جحدنا نعم الله فأزالها عنا .

فالحمد لله أن الله لم يأخذنا بذنوبنا ، وكان قادراً على أن يصيبنا بالموت
والهلاك مع هذه الأرض .

ولكن ربما أراد الله لنا توبة من عنده ، بسبب أن أبانا كان رجلا صالحا .
أو أن الله يريد أن نتوب إليه ..

قالوا : صدقت . وإنا تائبون إلى الله .

والحمد لله أننا تبنا إليه قبل الممات .

وتفجرت صورة أبيهم الصالح في أذهانهم وأخذوا يترحمون عليه ، بعدما
كانوا يحاولون نسيانه .

وتذكروا جريمتهم ..

فوجدوها جريمة بشعة .. ما أقبحها وأخسها

قالوا : يا ولينا إنا كنا طاغين

و هكذا أصبح الحادث المريع ،
بمثابة صدمة قوية أيقظتهم من نوب الضلال و الحرمان ،
و بداية لرحلة في آفاق التوبة و الإنابة ،
والتي أولها اكتشاف الإنسان لخطئه في الحياة .
ثم طمعوا في رحمة الله سبحانه في الدنيا والآخرة
وقالوا : (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها)
واتفقوا فيما بينهم ..
وأقسموا وتعاهدوا على ما يلى ..
قالوا : إن أبدلنا الله خيرا منها ،
لَنَصْنَعَنَّ كَمَا صَنَعَ أُولَئِكَ
فَلَنَحْدُوا بِعِوَنِ اللَّهِ .
وتتضرعون ..
فأبدلهم الله ما هو خير من جنتهم .
أبدلهم توبة صادقة .. وعزما أكيدا .. ونية صالحة .
بل من العلماء من يذكر أن الله أبدلهم بجنة أخرى ، لما رأى حُسنَ
توبتهم وعزمهم الطيب ..

وقد سجل الله تعالى هذه القصة التي وقعت وعاشها أصحابها ..
فقال الله تعالى في سورة القلم:

﴿ إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا
ليصرّمنها مصبحين ﴿ ولا يستثنون ﴿ فطاف عليها
طائف من ربك وهم نائمون ﴿ فأصبحت كالصريم ﴿
فتنادوا مصبحين ﴿ أن اغدوا على حرثكم إن كنتم
صارمين ﴿ فانطلقوا وهم يتخافتون ﴿ أن لا يدخلنها
اليوم عليكم مسكين ﴿ وغدوا على حرد قادرين ﴿ فلما
رأوها قالوا إنا لضالون ﴿ بل نحن محرومون ﴿ قال
أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون ﴿ قالوا سبحان ربنا
إنا كنا ظالمين ﴿ فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ﴿
قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين ﴿ عسى ربنا أن يبدلنا خيراً
منها إنا إلى ربنا راغبون ﴿ كذلك العذاب ولعذاب
الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ﴾

[القلم: 17-33].

قال رسول الله ﷺ

البرُّ حُسْنُ الخُلُقِ .

والإثمُ ما حاكَّ في نَفْسِك ،

وكرهتَ أن يطلَّعَ عليه الناسُ .